إذا فالآية على كلام المؤلف منسوخة, والمؤلـف ونحـوه دائما إذا أتى مثل هذه الآية يقول: هذه منسـوخة, وهـذا غلط لأن النسخ ليس بالأمر الهين، ادعـاء النسـخ يعنـي أن المنسوخ باطـل حكمـا زائـل, وهـذا صـعب أن ترفـع حكمة آية أو حديث لمجرد وهم تـوهمته, لـذلك لا يجـوز للإنسان أن يسلك هذا المسـلك المشـين, أنـه إذا عجـز عن الجمع بين الآيات ذهب يقول: إنها منسوخة، النسـخ يحتاج إلى العلم بتأخر الناسخ, ويحتـاج أيضـا إلـى تعـذر إمكان الجمع, فإن أمكـن الجمـع فلا نسـخ، هـل قـوله : ((**إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ**)) هل هو منسـوخ ؟ أجيبـوا يـا جماعة, أبدا, إلى آخر رمق من حيـاة النـبي صـلى اللـه عليه وسلم وهو عليه البلاغ, فلم ينسخ, والبلاغ لا ينـافي أن يكون معه جهاد, ولكن من حكمة اللـه عـز وجـل أن الله لم يفرض الجهـاد إلا حيـن قـويت الأمـة الإسـلامية, فلم يفرض الجهاد فـي مكـة وإنمـا فرضـه فـي المدينـة حين صـار للأمـة الإسـلامية دولـة مسـتقلة تسـتطيع أن تجاهد, فهذا من الحكمة, ويعبر عنه أنه من باب التـدرج في التشريع ومن باب الحكمة في التشـريع، إذا نقـول: إن قول المؤلف عفا الله عنه وغفر له: **" إن هذا قبل الأمر بالجهاد "** خطأ عظيم، نقول: البلاغ واجب عليـه حتى بعد الأمر بالجهـاد ولا يتنافيـان، لا ينـافي أن يكـونه عليه البلاغ وأن يكون مأمورا بالجهاد.

" ((إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَـا الإِنْسَـانَ مِنَّا رَحْمَةً)) نعمة كالغنى والصحة ((فَـرِحَ بِهَـا وَإِنْ تُصِبْهُمْ)) الضمير للإنسان باعتبار الجنـس ((سَـيِّئَةٌ)) بلاء ((بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ)) أي

قدموه, وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعـال تـزاول بها ((فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُـورٌ)) للنعمـة "، ((وإنـا إذا أذقنا)) معلوم أن الله تعالى واحد فلماذا قال : ((إنا)) ؟ نقول: للتعظيم لإظهار العظمة والسـلطة وقـوة الملـك **((إِذَا أَذَقْنَـا الإِنْسَـانَ مِنَّـا رَحْمَـةً))** يعنـي أوصلناها إليه حتى كأنها طعام ذاقه لا يشك فيه, وقوله: ((**منا))** لأن كل نعمة بنا فإنها من الله كمـا قـال اللـه عـز وجـل : ((**وَمَا بِكُـمْ مِـنْ نِعْمَـةٍ فَمِـنَ اللَّـهِ))** [النحل:53] **((منا رحمة))** يقول: **" نعمة كـالغنى والصحة "** والمثـال هنـا لا يعنـي الحصـر لكنـه مثـال, الغنى نعمة، الصحة نعمة، الأولاد نعمة، الأمن نعمة، نعم الله لا تحصى كما قـال اللـه عـز وجـل: ((**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَـةَ اللَّـهِ لا تُحْصُـوهَا إِنَّ الإِنسَـانَ لَظَلُـومٌ كَفَّارٌ))**[إبراهيم:34] إذا ما ذكره المؤلف على سبيل إيش ؟ التمثيل, والتمثيل لا يعطـي الحصـر, وقـوله : ((**فرح بها))** المراد بذلك فرح البطر والأشـر, لا الفـرح بالنعمة مع اعتقاد أنها من عند الله, فإن هذا مـأمور بـه أن يفرح الإنسان بنعم الله وفي الحديث: (**إن الله إذا أنعم على عبـد نعمـة يحـب أن يـرى أثـر نعمتـه عليه)** ومن آثار النعمة الفرح, الإنسـان إذا رزقـه اللـه مالا فـرح، إذا عافـاه اللـه بعـد المـرض فـرح، إذا تـزوج فرح، إذا ولد له فرح، ولكـن الفـرح نوعـان: فـرح أشـر وبطر فهذا مذموم، وفرح بنعمة اللـه تعـالى مـع الـتزام شريعته فهذا ممـدوح ولا بـأس بـه, ولا ينبغـي أن يكـون الإنسان كالحمار لا يفرح بنعمة ولا يتألم بنقمة, بل يجب أن يكون الإنسان إنساناً منفعلا مع الحوادث, يفـرح فـي

موضع الفرح ويغتم في موضع الاغتماء.

فَـرِحَ بِهَـا وَإِنْ تُصِـبْهُمْ)) يقـول المؤلـف: **"))** **الضـمير للإنسـان باعتبـار الجنـس "** أزال بـذلك إشكالا وهـو أن الآيـة: ((**وإنا إِذَا أَذَقْنَـا الإِنْسَـانَ))** والإنسان يا أخ واحد ولا جماعة ؟ واحد, كيف يقـول : ((**وإن تصبهم))** فيعيد الضمير عليه جمعا ؟ نعم أجـاب عنه المؤلف بأن المراد بالإنسـان الجنـس فيشـمل كـل إنسان, ويصح أن يقول: ((**وإن تصبهم سيئة))** ضد رحمة, ولهـذا فسـرها المؤلـف بـالبلاء, ((**بما قـدمت أيديهم))** أي بمـا قـدموا مـن إيـش ؟ مـن المعاصـي, وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها، لو أنك فكـرت أيمـا أكـثر عملاً الأيـدي أو الأرجـل ؟ تـأملوا يـا جماعـة، طيب مشيك من البيت إلى المسـجد كـم خطـوة ؟ كـم حركة ؟ والرجل ما تتحرك ؟ لـو مـا تتحـرك الرجـل مـا مشيت؟ فيقال: إن حركة الرجل في جنـس واحـد وهـو المشـي, لكـن حركـة اليـد مـا أكـثر أنواعهـا فضـلاً عـن أفرادها, فالأعمال حقيقة إنما تزاول باليد لأنها أكثر مـن أي عضو في البدن مزاولة للأعمال, حتى لو قال قائل : اللسان أكـثر مـن اليـد, مـن يحصـي كلمـات اللسـان ؟ نجيب عن هذا بما أجبنـا عـن المشـي, بأنهـا مـن جنـس واحد, لكـن اليـد تبطـش تضـرب تكتـب تمحـو, يعنـي لا تحصى أنواعها, فلذلك عـبر بالأيـدي عـن النفـس, ومـن ذلك قوله تعالى: ((**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَـا لَهُـمْ مِمَّـا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً))** [يس:71] انتبـه إلـى هـذا **((مما عملت أيدينا أنعاماً))** المراد ؟ أجيبوا ؟ المـراد مما عملنا, لكن اللغة العربية واسـعة تعـبر بالأيـدي عـن

النفس, ومن ثم نعلم أنه لا سواء بين خلق آدم بيد اللـه وبين عمل أيدي الله سبحانه وتعالى في الإبـل ونحوهـا، قال : ((**فإن الإنسان كفور**)) شـوف أعـاد الإفـراد بعد أن جاء الجمع ((**وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَـانَ**)) هـذا ابتدأها بالمفرد ((**فإن الإنسان**)) ختمها بالمفرد من أجل أن يشمل الإنسان مجتمعا أو منفـردا فهـذه حالـة, ولكن من المراد بالإنسان هنا ؟ الظاهر واللـه أعلـم أن المراد بـذلك الكـافر لأنـه هـو المـذي ينطبـق عليـه فـرح البطر والأشر والكفر إذا أصيب بسوء.

في هذه الآية فوائد : منها تسلية النبي صلى اللـه عليـه وسـلم حينمـا أعرضـوا عـن إجـابته لقـوله : ((**فمـا أرسلناك عليهم حفيظاً**)) .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنهـا تسـلية للـدعاة مـن بعـد الرسول عليه الصلاة والسلام، أن الداعي عليـه إيـش ؟ عليـه البلاغـة, وليـس عليـه أن يهـدي النـاس ولا يمكـن ذلك, وإذا كان النبي عليـه الصـلاة والسـلام أخبرنـا بـأنه رأى النبي وليس معه أحد فكيف نغضـب إذا دعونـا إلـى الله ولم يستجب لنا أحد ؟ إذا كان الأنبياء وهم الأنبياء لا يستجاب لهم كيف بنا نحن ؟ ولهذا نرى بعض الدعاة إذا لم يجد مجيباً استحسر وترك الدعوة هذا غلط, لا يجـوز أبدا أن تيأس من رحمة الله, ادع ثم ادع ثم ادع حتى لو أوذيت بدل أن يستجاب لك فلا تيأس.

طيب إذا في هذه الآية تسلية لمـن ؟ للـدعاة إلـى اللـه عز وجل كما أن فيها تسـلية للرسـول صـلى اللـه عليـه وعلى آله وسلم، فـأنت إنمـا عليـك البلاغ ومـا أجـل أن تقوم بما عليك مـن البلاغ, أمـا أن النـاس فيهتـدون فلا,

هذه واحدة .
ثانياً : بعض الناس يريد أن يهتدي الناس بين عشية وضحاها وهذا غلط ، هذا لا يمكن خلاف سنة الله عز وجل، إن النبي صلى الله عليه وسلم بقي في مكة ثلاثة عشر سنة يدعو إلى التوحيد فقط, وفي الآخر إلى الصلاة, ومع ذلك لم يستجب أكثرهم, لم يستجب ملؤهم, حتى ألجئوه إلى إيش ؟ إلى أن يهاجر ويدع بلده, فكيف بك أنت تعيش في قوم أفسدهم الاستعمار العسكري والفكري والخلقي, تريد أن يهتدوا بين عشية وضحاها, من أنت حتى تريد خلاف سنة الله عز وجل ؟ اصبر وبالتدريج, ولا حرج عليك فيما أرى أن تعامل الناس بالتدريج, لا حرج ما دام المقصود الإصلاح, فاصبر على بعض المعاصي ودرج الناس عليهم, يعني مثلاً لو أن إنسان حذر الناس من شرب الدخان الذي ابتلي به كثير من الناس فقال له الشارب: أنا ما أستطيع ، قال: ما فيه مانع كل يوم اشرب عشرة لمدة أسبوع, ثم ثمان لمدة أسبوع, حتى يتقاصر إلى آخر النهاية, هل هذا جائز أو لا ؟ هذا جائز, لأني الآن لم أقره على شرب الدخان, أقررته على بعض المفسدة من أجل أن أتوصل إلى زوال المفسدة نهائيا, وهذا من العلاج ومن الدعوة بالحكمة, وهذا كما أنه في الأمراض المعنوية الدينية فهو أيضاً في الأمراض البدنية، الطبيب يعالج المريض شيئاً فشيئا, ويصبر على ما به من مرض شيئاً فشيئا, ولا يعطه الدواء كاملا للحظة واحدة كما فعل البدوي لما أعطوه نوفالجين وقالوا: خذ هذا كل ست ساعات واحدة فاستبطأ الأمر قال: أخلي كل ست

ساعات واحدة ! أبلع الجميع, فبلع الجميع فقضي عليه، نعم استعجل الأمر وهلك, اصبر عالج الشيء بالتي هي أحسن المهم أن تكون عازماً على إزالتها .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس حفيظاً على الأمة لا في حياته ولا بعد مماته, وعلى هذا فلا يستغاث به بعد موته ولا تطلب منه الهداية وإنما الهداية من عند الله عز وجل .

ومن فوائد الآية الكريمة : وجوب الإبلاغ, ولم يبين الله تعالى الوسيلة للإبلاغ, فنقول : كل وسيلة للإبلاغ فهي واجبة, والوسائل لها أحكام ومقاصد، فيما سبق الإبلاغ محصور يبلغ الإنسان أهل بلده ومن يفد إليها من الناس، الآن يمكنه أن يبلغ إيش ؟ أن يبلغ العالم كله, وحينئذ نسأل لو أن شخصا أمكنه أن يجعل له صفحة في الإنترنت أيجوز أن يفعل ؟ يجوز الإنترنت فيها أغاني فيها بلاوي ... لا دخل له في ذلك، طيب إذا صار قبله أغنية وبعده أغنية ؟، لا يضره عمل عامل، عجيب ولو أن الذي قبله أغنية وبعده أغنية يفتتح بالأغاني ويختتم بالأغاني ؟، ليس له ذلك, إذا لا يبلغ ؟، يبلغ حتى لو قبله أغنية وبعده أغنية ؟ ما تقولون في قوله ؟ صحيح لأن الأغنية قبل وبعد ليست من فعله, هذا من فعل من يتصرف بهذه المحطة, لكن لا يجوز أن نترك الدعوة إلى الحق لأن في هذه الإذاعة مثلا أو المحطة فيها سيئة, هذا غير صحيح ونظرية قاصرة, زاحم أهل الباطل حتى يتبين الحق, ولا يضرك إذا دخلوا فيها أشياء منكرة، بعض الناس مثلا يقول لنا أو لغيرنا: لا تدخلوا إنترنت, كيف تدخلون فيها وفيها الأغاني وفيها البلاء ما

يصير، أيها أولى أن ندخل في هذا المضمار لعل الله أن يهـدي بنـا واحـد مـن النـاس أو أن نـدع المجـال لأهـل الشر ؟ الأول بلا شك, الأول أحسن.

ومثل ذلك ما يقـال فـي الانتخابـات إذا كـان البلـد مبنيـا على الانتخابات, يقول بعض الناس: لا تنتخب, يا جماعة ما أرشح واحد من أهـل الخيـر قـال: لا, لأن الانتخابـات فيها بلاء فيها رشاوي فيها أهواء، إذا كـان فيهـا رشـاوي وأهواء أنا لن أدخل في الرشاوي والأهـواء ولكـن أدخـل في ترشيح رجل أعرف أن فيه خيرا, قالوا: إذا رشــحت واحد يجيء مائة فاسق، طيب إذا كان مائة فاسق ليس معه مسـتقيم أو مائـة فاسـق معهـم مسـتقيم ؟ الثـاني أحسن, وإذا قالوا: إن هذا لا يجـدي ولا ينفـع واحـد فـي المائة ما في فائدة, نقول: لا بد أن يكون فيه فائــدة إذا أخلص النية لله لابد أن يؤثر, لأن الكلمة لله ليست تؤثر لأن فلانا تكلم بها لكن تؤثر لأنها كلمة الله, واسمع إلــى قـول اللـه تعـالى: **((وَجَعَـلَ كَلِمَـةَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا السُّفْلَى))** وبعـده: **((وَكَلِمَةُ اللَّـهِ هِـيَ الْعُلْيَـا))** [التوبة:40] أو: وكلمةَ الله ؟ بالرفع لأنه لو قال: وكلمـةَ الله دخلت في المفعـول بـه, يعنـي وجعـل كلمـة اللـه، وكلمة الله هي العليا بجعله وبغير جعله, ولهذا تبين الآن أن قـوله: **((وكلمة اللـه هـي العليـا))** لهـا موقـع عظيم جدا, يعني أن كلمة الله هـي العليـا مهمـا جـاءت هي العليا، ولا يخفي عليكم ما يتكرر فـي قصـة موسـى مع السحرة وفرعون, لما اجتمعوا وكـان موسـى واثقـاً بنصر الله عـز وجـل ولهـذا لمـا قـالوا : **((اجعلنا لنـا موعداً))** جعل لهم موعد في وسط الليـل فـي حجـرة

مظلمة ؟ لا, متى ؟ في وضح النهار, وفي يوم الزينة يوم العيد: ((**قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى**)) [طه:59] شيء عجيب، جاء السحرة وجمع فرعون كيده: ((**فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى**)) [طه:64] فقال موسى كلمة واحدة قال : ((**ويلكم**)) كمل يا عبد الله ؟ ((**وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**)) [طه: 61] ما الذي حصل من هذه الكلمة ؟ اسمع: ((**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**)) في الحال, الفاء تدل على الترتيب والتعقيب والسببية: ((**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**)) وإذا تنازع الناس فلا تحدث عن الفشل, حدث ما شئت ولا حرج: ((**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**)) ففشلوا, وفي النهاية أن هؤلاء السحرة الذين جاءوا يكيدون لموسى صاروا مع موسى وهددوا بالقتل والصلب ولكن أبوا, قالوا لفرعون: ((**لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**)) [طه:72] مثلما نقول نحن : سوي الذي تريد, ((**إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**)) الله أكبر، الله أكبر, الإيمان إذا دخل القلب فلا تسأل عن الحزم والعزم والقوة, ((**إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**)) والذي لا يموت اليوم يموت غدا.

فالمهم إني أقول: إن بعض الناس إذا رأى الموقف غلب فيه الشر استحسر وتخلى وهذا غلط، خذ غمار القوم والنصر للحق، أنا ما دخلت مع هؤلاء لأوافقهم على باطلهم سأدافع عن الحق الذي اعتقده مهما

أملك، ثم إنه من الحكمة أن يفتت القوم المجتمعون، يفتت يعني يؤخذوا واحدا واحدا ويتكلم مع كل واحد ويقال: يا فلان إيش الفائدة من هذا ؟ هذا إثم عليك، هذا سوء في الدنيا والآخرة, كما فعلت قريش في نقض الصحيفة الذين تعاهدوا فيها على مقاطعة بني هاشم والقصة مشهورة صار أحد المعارضين لهذه الصحيفة يأتي كبراءهم, الكبراء الذين وقعوا, ويأتيهم على واحد واحد ويقول: كذا وكذا حتى تفتتوا, وهذه من السياسة لأنك إذا فتت المجتمعين إيش ؟ زالت قوتهم وزال سلطانهم, وحصلت على الخير.

ومن فوائدها أيضا : أن الناس ينقسمون إلى قسمين : قسم : إذا أصابته رحمة من الله فرح بها فرح أشر وبطر .

وقسم آخر : إذا أصابته رحمة الله تعالى فإنه يستعملها في طاعة الله, وهذا يستفاد من غير هذه الآية .

ومنها : التحذير من الفرح بنعمة الله إذا كان الفرح فرح أشر وبطر، وأما إذا كان فرح استبشار وسرور وقيام بطاعة الله فإنه يمدح قال الله تعالى: **((قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ))** [يونس:58].

ومن فوائد الآية الكريمة : أن ما يصيب الإنسان من سيئة فإنما هو بسبب عمله لقوله : **((بما كسبت أيديهم))** .

ومن فوائدها : التعبير بالبعض عن الكل إذا كان لهذا البعض تأثير كبير لقوله : **((بما كسب أيديهم))** .

ومن فوائدها : أن الإنسان من حيث هو إنسان إذا

أصابته السيئة كفر بمعنى أيس من رحمة الله تعالى أن يصرف عنه هذه السيئة, وأما المؤمن فإنه لا ييـأس بـل يصبر وينتظر الفرج إيمانا بقول النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم : **(واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفــرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً)** نعم .

الطالب : ...

الشيخ : ورد حديث عن النبي عليه الصـلاة والسـلام أن قوماً أتوا إليـه واشـترطوا ألا يصـلوا الصـلوات الخمـس فوافقهم على هذا وقال : **(إنهم إذا أسلموا صلوا)** نعم.

الطالب : ...

الشيخ : هو لا شك هذا ليس من أجل القوم حبشـيين أو مكيين أو مدنيين هذه قاعدة عامـة, يعنـي تنـزل الآيـات التي نزلت مثلاً في مكة على من كـان مثـل أهـل مكـة كمـا نزلـت فيهـم, العـبرة بعمـوم اللفـظ لا بخصـوص السبب .

الطالب : ... **((فإن الإنسان لكفور))** ؟

الشيخ : هذه ما هي صـيغة مبالغـة، هـذه صـفة مشـبهة يعني يكون من صفته الكفر، نعم .

الطـالب : قـوله تعـالى: **((وإنـا إذا))** مـن يقـول أن ضمير المتكلم إذا كان الله سبحانه هو المتكلم به جمعـا كان هذا من متشابه القرآن, هل هذا صحيح ؟

الشـيخ : هـذا مـا قـاله إلا النصـارى, تعـرف النصـارى ؟ يقولون: إن الله ثالث ثلاثة, الدليل ؟ قال: هذا القـرآن : **((إنــا نحــن نزلنــا الــذكر))** **((إنــا نحــن نحــي المــوتى))** فجمـع اللـه تعـالى الضـمير فـي الآيـات

الشرعية: ((**إنا نحن نزلنا الذكر**)) وفي الآيات الكونية: ((**إنا نحن نحي الموتى**)) إذا الله متعدد, وهو لا شبهة فيه عند المسلمين إطلاقا، المراد التعظيم وإظهار العظمة والسلطان والقوة والقدرة .

ثم قال الله عز وجل:

القارئ : ((**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**)) [الشورى 49:50].

الشيخ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تبارك وتعالى : ((**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**)) الجملة خبرية خبرها مقدم، ... نعم يراد به الحصر، لأن القاعدة البلاغية أن تقديم ما حقه التأخير يدل على الحصر والاختصاص, إذا لله لا لغيره: ((**مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**)) أي خلقا وتدبيرا, فالله تعالى مالك السماوات والأرض خلقاً وتدبيراً ولهذا قال: ((**يخلق ما يشاء**)) وقوله: ((**يخلق ما يشاء**)) ((**ما**)) هذه موصولة ويعبر عنها غالبا لما لا يعقل, وكان التعبير بـ ((**ما**)) ليعم الأعيان والأوصاف, لأنه إذا قصدت الأوصاف عبر بـ (ما) ولو كان لعاقل، انظر إلى قول الله تعالى : ((**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**)) [النساء:3] ولم يقل: من طاب, مع أن النساء من العقلاء لكن لما كانت المرأة إنما تنكح من أجل صفاتها لا لعينها قال: ((**انكحوا ما طاب لكم من النساء**)) هنا ((**يخلق ما يشاء**)) نقول: عبر **بما** لأن المقصود بذلك الأعيان والأوصاف، أما الأعيان

فلـو سـئلنا أيهمـا أكـثر العاقـل أو غيـر العاقـل ؟ علـى الأرض غير العاقل, لكن فـي السـماء لا، السـماء أوسـع من الأرض وما فيها موضـع أربـع أصـابع إلا وفيـه ملـك, فيكون العاقل باعتبار الجميع أكثر, لكن باعتبـار مـا فـي الأرض, الأخ أيهما أكثر ؟ غير العاقل، طيب كذلك أيضـاً إذا اعتبرنا الأوصاف فالأوصـاف تشـمل العقلاء وغيرهـم فلهذا عبر بـ **((ما))** **((يخلق ما يشاء))** أي يوجـده بعد العدم, ولكن الخلق ليس مجرد إيجاد بـل هـو خلـق عن تقدير **((يخلق ما يشاء * يهب لمـن يشـاء))** هذا من جملة خلقه أيضا **((يهب لمن يشاء إناثـاً))** الهبـة هـي التـبرع بالشـيء مجانـا, ووصـف اللـه تعـالى الأولاد بالهبة لأنه لا طاقة للإنسان في إيجادهم, بـل هـو مجرد فضل من الله عـز وجـل **((يخلـق مـا يشـاء * يهب لمن يشـاء))** مـن الأولاد **((إناثـاً))** قـوله : **" من الأولاد "** كيف تتلاءم مع قوله : **((إناثـاً))** ؟ لأن الأولاد في اللغة العربية تشمل الذكر والأنـثى, كمـا فـي قوله تعالى: **((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِـي أَوْلادِكُـمْ لِلـذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْـنِ))** [النسـاء:11] **((يهـب لمـن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الـذكور))** ولـم يقـل: ذكوراً بل أتى بأل المعرفة الدالة على شـرف مـدخولها فإن الذكور عند الناس أشرف من الإناث, ولكن مع هذا جبر نقصهن بتقديم ذكرهـن علـى الـذكور, أو يقـال: إن اللــه قــدم الإنــاث لأن إرادة الإنســان أن يكــون أولاده ذكوراً فقدم الإناث إلى أن الأمر إلى اللـه وحـده لا إلـى ما يريده الإنسان ويهواه **.**

ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم)) قال :**((**

" أي يجعلهم " والصواب يصنفهم, لأن التزويج بمعنى التصنيف كما قـال اللـه تعـالى: **((وَآخَرُ مِـنْ شَـكْلِهِ أَزْوَاجٌ))** [ص:58] أي أصناف, فمعنى **((يزوجهم))** أي يصــنفهم, فيجعلهــم صــنفين **((ذكرانــاً وإناثــاً ويجعل من يشاء عقيماً))** **" فلا يلد ولا يولد لـه "،** فلا يلد باعتبار الأنثى, ولا يولد له باعتبار الذكر, فهذه أربعة أصناف :

. الأول : أن يهب لمن يشاء إناثا

. الثاني : أن يهب ذكوراً

. الثالث : أن يهب ذكوراً وإناثاً

،الرابع : أن يجعل الإنسان عقيماً لا ذكور ولا إناث

ذلك لأن الأمر أمر اللـه عـز وجـل ولا أحـد يسـتطيع أن يخلق شيئاً من هذا بـل اللـه وحـده هـو الخـالق، قـال : **((وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّـهُ عَلِيـمٌ قَـدِيرٌ))** **" ((عليم)) بما يخلق ((قدير)) على ما يخلق "** فهو يعلم ما يخلق عز وجـل, وقـدير علـى أن يخلـق مـا أراد.

في الآية الكريمة: عموم ملك الله سـبحانه وتعـالى لمـا في السماوات والأرض لقوله: **((لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ))** .

ومن فوائدها أيضاً : اختصاص الله تبارك وتعـالى بـذلك، من أين نأخذ الاختصاص ؟

الطالب : ...

الشيخ : غلط ، إلا إذا كنت لم تفهم السـؤال، والسـؤال اختصـاص اللـه تعـالى بملـك السـماوات والأرض، إيـش وجه ذلك ؟ وجه ذلك أن الله قـدم الخـبر, والخـبر حقـه

التأخير, وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.
فإن قال قائل : إذا قلتم : إن ملك السماوات والأرض خاص بالله, أليس الإنسان له ملك ؟ طيب قال الله تعالى : **((أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ))** [النساء:3] فللإنسان ملك فكيف الجمع بين قولنا : إن ملك السماوات والأرض خاص بالله وإثبات الملكية لغير الله ؟
الجواب: ملك الله تبارك وتعالى تام شامل ففيه شمول التصرف وفيه شمول المكان, بمعنى أن ملك الله تعالى تام من كل وجه, عام من كل وجه، ملك الإنسان قاصر لا من جهة العموم المكاني ولا من جهة عموم التصرف, فكلنا نملك لكن ملكنا إيش ؟ محدود، أنا أملك حقيبة ولا أملك حقيبة أخرى لغيري, فهو محدود.
ثانيا : ملك ناقص لا يمكنني أن أتصرف في ملكي كما أشاء, صحيح ؟ لا يمكن أن أتصرف في ملكي كما أشاء صحيح ؟ صحيح, لا يمكن أن أضيعه لأننا منهي عن إضاعة المال، لا يمكن أن أعذبه إذا كان حيوانا لأني منهي عن ذلك، لا يمكن أن آكل من ملكي ما شئت وأدع ما شئت, فالحيوان المحرم لا يجوز أن آكله ولو كان ملكي، المهم أن ملك الإنسان محدود وثانياً: ناقص, محدود لا يشمل كل شيء، ناقص لا يملك كل التصرف .
ومن فوائد الآية الكريمة : أن الله تبارك وتعالى يخلق ما يشاء من الأعيان والأوصاف, على أي كيفية وعلى أي صفة, ولهذا انظر إلى مخلوقات الله هل هي واحدة ؟ أجيبوا، لا, لا ليست واحدة تختلف اختلافا

عظيما كبيرا في الشكل في الأيدي في الأرجل في الغذاء في كل شيء, فالله تعالى يخلق ما يشاء, لكن اعلم أن الله تعالى هدى كل مخلوق لما خلق له, قال الله تعالى حين موسى حين سأله فرعون : **((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ))** أي خلقه اللائق به **((ثُمَّ هَدَى))** أي هدى كل مخلوق لما خلق له, ولذلك تجد هذا المخلوق لا يأكل من هذا النوع من العشب والمخلوق الآخر يأكل منه، تجد هذا المخلوق لا يسكن هذا النوع من الأرض ويسكن أرضا أخرى, ومخلوق آخر بضده، الرمل مثلاً لا يسكنه النمل لأنه لا يملك الجحور, لكن يسكنه الحشرات أو الزواحف التي تندس في الرمل, لأن هناك زواحف صغيرة تندس في الرمل اندساساً تشاهدها كأنما يغوص السابح في الماء, وليس لها جحور، هناك أشياء لا تسكن هذا النوع من الأرض بل تسكن أرضاً صلبة حتى تبني لها الجحور، أشياء غريبة من مخلوقات الله, لأن الله سبحانه وتعالى أعطى كل شيء خلقه .

من فوائد الآية الكريمة : أن الأولاد هبة من الله عز وجل لقوله : **((يهب لمن يشاء ويهب))** والهبة هي العطية بلا عوض, فما هو العوض الذي علينا بالنسبة لله لهذه النعم؟ هو الشكر.

وهنا سؤال هل يجوز أن تسمي ابنك أو بنتك هبة الله ؟ نعم يجوز, ولهذا قال الفقهاء رحمهم الله : في السقط، السقط إذا سقط يعني الحمل، إذا سقط بعد أن تنفخ فيه الروح فسمه ولو مات في الحال سمه, فإذا جهلت أنه ذكر أو أنثى فسمه اسما يصلح لهما بأن تقول هذا

هبة الله, تسميه هبة الله .

ومن فوائد الآية الكريمة : أنـه لا اختيـار للمـرء بالنسـبة للأولاد لقـوله : **((يهب لمـن يشـاء))** فجعـل الأمـر راجعاً إلى مشيئته تبارك وتعالى.

ومنهـا أنـه لا ينبغـي للإنسـان أن ييـأس إذا أتـاه إنـاث متتابعات, فإن بعض الناس إذا أتاه إناث متتابعات أيـس وقال : لن يولد لي ذكر، وهذا غلط، فالله تبارك وتعالى يخلق ما يشاء .

ومن فوائد الآية : تمام قدرة اللـه تبـارك وتعـالى حيـث خلق مـن هـذه النطفـة وهـي واحـدة خلـق منهـا ذكـورا خلصا وإناثا خلصا, والثـالث أصـنافا ذكـورا وإناثـا مـع أن الماء واحد ولكن الله سـبحانه وتعـالى علـى كـل شـيء قدير .

ومن فوائد الآية الكريمة : أن العقم يعتبر نقصاً بالنسـبة لمن يولد له لقوله : **((ويجعل من يشاء عقيمـاً))** بعد أن ذكر أن الأولاد هبة, فيكون العقيم موهوبـا لـه أو لا ؟ لا، إذا هذا نقص.

ويتفرع على هذه القاعدة أن لو تبين زوج المرأة عقيمـا فلها الفسخ, فسخ النكاح, يعني لو أن أحداً تزوج امـرأة وهو لا يعلم عن نفسه ثم تبين أنه عقيم, فلها أن تفسخ إما بنفسها تشهد اثنين تقول : إني فسخت نكـاحي مـن فلان, أو بالقاضي تذهب وزوجهـا إلـى القاضـي فيفسـخ النكاح وهذا حق لها، فإن قال الزوج : أنا ليس في عيب إنه يقدر على الـوطء وإنـه مسـتقيم خلقـاً ودينـا, ليـش تفسخونها مني ؟ ماذا نقول ؟ نقـول : لأن العقـم عيـب والمرأة لها حق في الأولاد, ولذلك يحرم على الزوج أن

يعزل عن زوجته إلا بإذنها, لأنه إذا عزل عنها حرمها من الأولاد إلا أن تأذن .

ومـن فوائـد الآيـة الكريمـة : إثبـات هـذين الاسـمين الكريمين لله عز وجل وهما العليم والقدير.

ومن فوائدها أيضاً : إثبات مـا دل عليـه هـذان الاسـمان من صفة, العليم دل على إيش ؟ على العلم, والقدير ؟ على القدرة, وكل اسم من أسماء اللـه متضـمن لصـفة أو أكثر, وليست كل صفة يشـتق منهـا اسـم, انتبـه كـل اسم من أسماء الله فهو متضمن إيش ؟ لصفة أو أكثر, ولا يشتق من كل صفة اسم لله, وبه نعرف أن الصفات أكثر من الأسماء.

ومن فوائد الآية الكريمة : إثبات المشيئة للـه عـز وجـل لقوله تعالى : **((يخلق ما يشاء))** لا أحد يجبره علـى أن يخلق أنثى أو ذكر, بل له عـز وجـل المشـيئة التامـة في خلقه.

واعلـم أنـه كلمـا ذكـرت المشـيئة للـه عـز وجـل فـإنه مقرونة بالحكمة، انتبـه لهـذه النقطـة, يعنـي أن مشـيئة ليست مشيئة مجردة بل هي مقرونة بالحكمة, والـدليل على هذا قـول اللـه تعـالى : **((وَمَا تَشَـاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّـهُ))** أكمـل: **((إِنَّ اللَّـهَ كَـانَ عَلِيمًـا حَكِيمًا))** [الإنسان:30] **((عليماً حكيماً))** بعـد أن قال : **((وَمَا تَشَـاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّـهُ))** فعلـم من هذا أن مشـيئة اللـه تابعـة لعلمـه وحكمتـه, وأنـه لا يشاء شيئاً مشـيئة مجـردة بـل لا بـد أن تكـون مقرونـة بالحكمة, وهذا في كل نص يأتيك فيه ذكر المشـيئة للـه فاعلم أنها مقرونة بالحكمة.

ثم قال عز وجل لما ذكر خلقه سبحانه وتعالى وأنـه هـو الخالق له المشيئة المطلقة, ذكر شيئاً آخر وهو الشرع, لو تأملت الآيات القرآنيـة لوجـدت أن اللـه تعـالى يـذكر الشــرع قبــل القــدر ، اقــرأ **((الرحمــن * علــم القرآن))** بعدها **((خلق الإنسان))** فبدأ بالشرع **((علم القـرآن * خلـق الإنسـان))** **((اقـرأ باسـم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علـق))** فبـدأ بالقراءة, وهكذا تجد هذه القاعدة مطـردة إلا أن يكـون هناك سبب لتقديم الخلق على الشرع، نسأل الله تعالى أن يرحمنا وإياكم برحمته، وأن يوفقنا وإياكم لمـا يحـب ويرضى .